وخشى اذا هو اختار عليا ان يحمل ذلك على انه انما اختاره لقرابته من الرسول لا لفضله وصفاته السامية ، فكان فى امره فى حيرة شديدة ، وخرج منها على ان يطرح على المرشحين سؤالا يكون بمثابة استطلاع لبرنامج كل منهما اذا هو ولى الحكم . فجمع الناس فى المسجد وعرض سؤاله فقال : « هل انت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه وفعل ابى بكر وعمر ؟ » فرأى على ان معنى ذلك تقييده فوق كتاب الله وسنة الرسول بفعل خليفتى المسلمين قبله . ورأى أنه لا يحسن به أن يقيد نفسه بغير الكتاب والسنة تاركا لنفسه بعد ذلك الاجتهاد والنظر وان خالف رأى صاحبيه . وكانت اجابته على ذلك ان قال : « اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتي » واما عثمان فانه قال : « اللهم نعم » وكان عبد الرحمن ممن يرون اتباع السلف فيما ساروا عليه منذ كانوا فى ذلك مجتهدين ، ومنذ دلت الحوادث على حسن سياستهم فيه وسلامة عاقبة حكمهم . فرأى اختيار عثمان ورفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ثم قال : « اللهم اسمع واشهد . اللهم انى جعلت مافى رقبتي من ذاك فى رقبة عثمان » وازدحم الناس بعد ذلك على الخليفة عثمان يبايعونه .

فخرجت الأمة الاسلامية من ذلك الموقف بسابقة جديدة منظمة تنظيما كبيراً صالحة لأن تكون أساساً لنظام واف صالح لاختيار الخلفاء ، ففيه نواة الانتخاب العام ، وفيه نواة النظر والموازنة بين المرشحين ، وفيه نواة ادخال جميع العرب فى حق الاختيار ، سواء أكانوا من أهل المدينة أم من أهل جزيرة العرب أم من أمصار البلاد المفتوحة . وفيه فوق كل ذلك نواة لرسم خطة للحكم يسأل عنها الخليفة قبل توليته ، ويكون اختياره بعد الافصاح عنها والتصريح ، بها وبذلك يكون عليه الوفاء بما تعهد به من الشرط قبل استخلافه .

ولم يبطيء العرب فى تلقف هذه الحقوق ولم يتهاونوا فى المطالبة بها فى عهد عثمان ولم يترددوا في الثورة عندما رأوا أن خليفتهم لم يف بما تعهد به .

(يتبع)

التجديد فى الأدب

حول مقال الاستاذ أحمد أمين

للدكتور عبد الوهاب عزام

قرأت المقال الثاني الذى تكلم فيه الأستاذ عن « التجديد فى العبارة » فرضيت آراء وأنكرت أخرى .

وأول ما آخذ على المقال أنه لم يُحكم تحديده فالقارىء يحس أن كاتبه أراد أن يعالج التجديد فى المعني والعبارة معا .

يقول الاستاذ فى مستهل مقاله : « واليوم أعرض لضرب آخر من ضروب التجديد وهو التجديد في العبارة . وأعنى بالعبارة الجملة التى يؤدى بها المعنى على اختلاف ألوانها من حقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة وكناية . » ولست أدرى كيف يكون التجديد فى التعبير الحقيقي ؟ الحقيقة لفظ مستعمل فيما وضع له . فاذا اتفق معنى لشاعر فى الجاهلية فأداه بالفاظ حقيقية ثم وقع المعنى بعينه لشاعر معاصر فأراد الابانة عنه بلفظ حقيقى لم يمكن التجديد فى الأداء الا بالاسهاب أو الايجاز وليس هذا ما يريده الأستاذ ، أو بايثار لفظ حقيقى على آخر مثله وهذا يرجع الى بحث الألفاظ الذى فرغنا منه فى مناقشة المقال الأول ، اذا أراد شاعر معاصر أن يبين بالفاظ لا تجوّز فيه عن قول القتال الكلابي :

ولما رأيت أننى قد قتلته ندمت عليه أى ساعة مندم

لم يستطع فى هذا تغييراً يلائم العصر الحاضر ، ولم يُواته إلا أن يضع أبصرت مكان رأيت أو أسفت موضع ندمت أو يقدم ويؤخر فى الكلمات . وليس هذا هو التجديد فى العبارة الذى عناه الاستاذ . أي تجديد فى العبارة يستطيعه قائل يريد أن يترجم عن هذا المعنى :

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا

انما يمكن التغيير فى المجازات والكنايات والتشبيه والتمثيل مما يمكن فيه تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة ، وتصوير الحقيقة الواحدة بصور شتى وألوان عدة تتجلى فيها أثر الخيال والمعايش المختلفة ، والأزمان والبلدان المتباينة . وهو موضوع لا يغنى فيه الاجمال ولا غنى به عن التفصيل :

١ — بعض المجازات والكنايات جرت مجرى الحقائق حتى

نسى أصلها أو كاد . ولا يدرك فيها التجوز أو الكناية الا بالبحث والرجوع بالكلمات الى أقدم أصولها المعروفة . وذلك مثل أسبل المطر ، وفلان زميل فلان . وأرهقه العمل ، وراض نفسه على الأمر ، ودهماء الناس ، وأمثال هذا مما شاع استعماله حتى ساوى مجازه الحقيقة أو غلب عليها فلم يبق المعنى الحقيقى شاهداً بأصل الاستعمال ودالاً على التجوز فى غيره ، كما يعرف التجوز فى قولنا زلّ فى رأيه ، وزرع المودة فى قلبه ، وسمع زئير الحرب ، ببقاء هذه الألفاظ معروفة ذائعة الاستعمال فى معانيها المحسوسة .

وحكم هذا المجاز حكم الحقيقة لا تجديد فيه ولا تغيير على الأسلوب الذي يريده الأستاذ أحمد أمين .

٢ — وأما المجازات التى يظهر فيها التجوز ، ويبين فيها التخيل فبعضها يخترعه الكاتب البليغ الذى يحس فى نفسه المقدرة على تصريف الكلام وخلق العبارات . وهذا مأخوذ من عقل الكاتب ، او المتكلم واحساسه وعلمه كما يسمي الجمل سفينة الصحراء ويسمى الرجل الجرىء أسداً وذئباً الخ وكما يسمى أحدنا الغواصة مثلا نسر الماء ، ومنطاد زبلين حوت الهواء ، ويقول عن خبر فظيع جاءه بالتلغراف : هذه إحدى صواعق البرق ، ويشبه الرجل العليم بأخبار العالم وأحواله بالراديو الخ . وينبغى ألا ننسى أن علم الانسان وعقله ليسا مقصورين على البيئة التي يعيش فيها بل من هذه البيئة ومما رأى أو سمع عن بلاد غابرة أو حاضرة ، وأمم ذاهبة أو قائمة . فقد يسوغ للكاتب المصرى أن يستمد مثلا أو تشبيهاً مما يعرف عن أمم الاسكيمو أو مما عرف عن الأمة المصرية القديمة أو الأمة العربية قبل الاسلام ، أو من خرافات اليونان الأقدمين . فاذا قال عن رأي سيء يظهر بمظاهر مختلفة انه غول متلونة أو عن فكرة سخيفة فى نفس باردة انها كواحد من هيج الاسكيمو يقطن بيتاً من الثلج لم يكن لأحد أن يقول له : انك لم تر الغول ولا عاشرت الاسكيمو فينبغى أن يكون بيانك خالياً من التشبيه بهما . وإنما شرط هذا أن يكون مصدر المجاز أو التمثيل معروفاً لا يقف بالقارىء عنده غموض أو اغراب .

وضرب من المجازات وما اليها ينشأ هذه النشأة ثم يذيع وتتداوله الأجيال حتي يصير مظهراً لبيان الأمة وخيالها لا لخيال كاتب أو متكلم كالذى ورثناه في لغتنا عن بلغاء العربية فى الجاهلية والاسلام .

وهذا جدير بالاستعمال ، فلكل كاتب أو متكلم أن يتوسل به إلى البيان وان كان مصدره غريباً غير مألوف ، بل ينبغى المحافظة عليه بما يبين عن تاريخ الأمة وحياتها في طور من أطوارها .

فلا عيب أن يقول القائل : أخذه برمّته ، وترك حبله على غاربه ، و ماله خف ولا حافر ، و رموا عن قوس واحدة ، و اعطي القوس باريها ، و ألقي عصاه ، و القافلة تسير ، والكلاب تنبح ، كالمستجير من الرمضاء بالنار ، كمهدى التمر الى هجر ، أعقد من ذنب الضب ، أعدى من الشنفري ، مرق مروق السهم ، اختلط الحابل بالنابل ، أهدى من القطا ؛ وهلم جرا .

ولغات الأمم الأخرى حفظت كثيراً من عاداتها القديمة وتاريخها ولست أضرب مثلا باللغة الفارسية أو التركية أو الأردية فهي لغات شرقية لا تصلح حجة في هذا العصر ، ولكن أضرب مثلا من اللغة الانكليزية والفرنسية : يقال في الانكليزية لمن يبالغ فى كلامه : « ينزع فى القوس الطويلة » ولمن يخير بين أمور عدة : « عنده أوتار لقوس واحدة »(1) وهذه العبارة الأخيرة فى اللغة الفرنسية أيضا (2) . ويقال فى الانكليزية فى تقدير المسافة : « على رمية سهم » (3) كما يقال فى العربية « مقدار غلوة » . ويقال فى الفرنسية لمن يتوسل الى غايته بكل وسيلة : « يبرى سهاما من كل خشب » (4) . وأمثال هذا كثير . فما منع الانكليز والفرنسيين استبدالهم بالأقواس والسهام آلات الحرب الحديثة منذ مئات السنين ، أن يبقوا على العبارات التى حدثت فى عهد الاقواس والسهام .

لست أقول ينبغى أن نلزم العبارات القديمة ونأبى كل عبارة حديثة فلا أحد يستطيع أن يحول بين الناس وبين الابانة عما فى أنفسهم بوسائل مشتقة من حياتهم ولكنى أخشى أن تكون الدعوة الى الجديد دعوة الى هجر القديم ، ونحن في هذا العصر — عصر الفتن أحوج ما نكون الى التمسك بالقديم ، والاستمساك دون النهافت فى التقليد ، والضلال بين القديم والجديد . ومن ينعم النظر فى صحفنا ومنشآت طلبتنا يعرف كيف تركنا كثيرا من عباراتنا الجيدة الموروثة الى عبارات غثة ضعيفة لا تكاد تبين عما وراءها .

ثم يتكلم الأستاذ عن مسايرة الأدب الغربى للزمن ووقوف الأدب العربى ، فيقول : « ذلك بأن الأدب الغربي ساير الزمن واعترف بكل ماحدث فيه واستمد منه ، على حين أن الأدب العربي

(1) to draw the long bow — to have two strings to one's bow
(2) avoir plusieurs cordes a son arc.
(3) arrow-shot
(4) faire fléche de tout bois.

الحديث أغمض عينيه عن كل ما كان ، ولم يعترف بوجوده الخ »

ولو رددنا الأمور الى نصابها وتجاوزنا ظواهر الامور الى بواطنها ما رأينا في هذا قصور الأدب العربي ، ولا عجز أدباء العربية بل عرفنا فيه قصورنا في العلوم والفنون الحديثة أو حداثة عهدنا بها . الأدب ترجمان الحياة العامة فهو لايتناول مسائل علم واصطلاحاته حتى تشيع أوليات هـذا العلم بين الأمة شيوعا يدخل مصطلحاته في لغة التخاطب . ولا ينبغي للأديب أن يدخل في الأدب المسائل العلمية أو الاسماء التي لا تزال مقصورة على العلماء المختصين بها . فاذا جاوزتهم الى جمهور الأمة ودخلت في لغة الكلام ساغ للأديب أن يتناولها . في الكيمياء ، مثلا ، مسائل عويصة لا يعرفها الا علماء الكيمياء فهذه المسائل ستبقى وقفا علي العلماء مخبوءة بين أجهزة الكيمياء ، ولن تخرج الى لغة الخطاب العامة فتدخل في الأدب الا أن تصير الامة أو جمهورها من علماء الكيمياء . وهناك مسائل من أوليات هذا العلم كصفات الاحماض، وتأثير بعض العناصر في بعض .

وهذه تدخل في اللغة العامة وتتهيأ للدخول في الأدب حين يشيع في الأمة علمها فلا يختص بها الكيميائيون . ومن أجل هذا تجد طلاب الفلسفة أو الطب أو النحو يتفكهون بتشبيهات من هذه العلوم لايفقهها غيرهم اذ شاع علمها بينهم وصلحت للدخول في لغة تخاطبهم . واذا رجعنا الى تاريخ الأدب العربي عرفنا أن اصطلاحات الفلسفة والمنطق وغيرهما لم تدخل في الأدب أول عهد المسلمين بهذه العلوم . ثم شاعت بعض قضاياها واصطلاحاتها فساغ لأبي نواس وأمثاله أن ينظموها في شعرهم . كما قال أبو نواس:

تأملُ العينُ منها محاسنا ليس تنفد
فبعضها « يتناهى » وبعضها « يتولد »

فالتناهي والتولد من اصطلاحات الفلاسفة، وكما قال البحتري :

وكأن الزمان اصبح « محمولا » هواه مع الأخس الأخس

فهو فيما أظن يشير الى قول المنطقيين ان النتيجة تتبع أخس المقدمتين .

وكقول المعري :

طرق العلا مجهولة فكأنها « صم العدائد » مالها « أجذار »

أدخل في شعره من أسماء الحساب العدد الأصم والجذر . وكقول الفارابي في اصطلاحات الهندسة :

وهل نحن إلا خطوط وقعن على كرة وقع مستوفز
محيط السماوات أولى بنا فماذا التنازع في المركز؟

وقد يكفي في هذا أن تشيع القضية العلمية بين المتأدبين من الأمة ولا ينتظر بها أن تشيع بين الجمهور . ولا يتسع المجال للافاضة في البيان هنا .

ومهما يكن الأمر فقد غلا الاستاذ اذ قال : « أما الأدب العربي فيحارب مترليوزا بقوس وسهم ، ويضيء في أدبه سراجاً بزيت والناس قادمون علي أن يغيروا المصباح الكهربائي بخير منه ويبكي الأطلال ولا أطلال ، ويحن الى سلع ولا سلع ، ويستطيب الخزامى والعرار ولا خزامى لدينا ولا عرار . » هل يستطيع استاذنا أن يعرفنا بشاعر أو كاتب في مصر أو الشام والعراق يفعل هذا؟

ويقول الأستاذ : « وسبب آخر من أهم الأسباب في فقر الأدب العربي في التعبير . هو أن الأدب العربي الحديث أدب ارستقراطي لا أدب شعبي . » وأنا لا أخالف هذا الرأى في جملته ولكن لي فيه مآخذ .

(١) ليس حقاً أن أحاديث الخاصة من متعلمينا وتنادرهم وفكاهاتهم باللغة العامية . فأحاديث الخاصة من المتعلمين أقرب الى لغة الكتابة من اللغة العامية . ومراقبة مجلس الأدباء والعلماء تشهد بما اقول .

وفي هذا نفسه بيان خير الوسائل الى مادعا اليه من « ازالة الحواجز القوية بين العامية والعربية على أي وجه يرضاه قادة الأمة . » وذلك ان قرب أحاديث الخاصة من لغة الكتابة يبين لنا الطريق التي ينبغي أن نسلكها لازالة هذه الحواجز . فليس لنا من وسيلة الا أن ترقى العامة حتى تستطيع ان تفهم عن الخاصة اذا حدثتها . فكلما شاع التعليم في الأمة ارتقت العامة الى مستوى أقرب الي لغة الأدب . ونحن اليوم سائرون في هذه السبيل وقد سمعت في السنين الأخيرة جماعة من العامة وأشباه العامة يخطبون ويتكلمون بلغة لاتخالف لغة الكتابة الا قليلا . وآلاف المتعلمين من طلاب مدارسنا وآلاف القارئين الذين يستطيعون مطالعة الصحف والكتب عاملون كل يوم للتقريب بين العامية والفصحى .

(٢) ثم قد غلا الأستاذ حين قال : « وكل أمة قد كسبت من توحيد لغتها الكلامية والكتابية ما لايقدر ، فقد أصبح الشعب كله منتجاً أدباً وتعبيراً قويا . » ليس في العالم شعب ينتج كله أدباً قويا ولا يزال الخاصة من الأدباء هم منتجي الأدب وأئمته ، بل أتفه الأدباء أقربهم الى العامة . فلا يزال عند الاوربيين فوارق بين ادب العامة وأدب الخاصة وستبقى هذه الفوارق ما دام اختلاف العلماء والجهال في عقولهم ومشاعرهم . وكل

الذى نبغيه أن يلتقى العامة والخاصة فى مقدار من الادب مشترك هو أعلى ما تسمو اليه العامة وأدني ماتنزل اليه الخاصة . ولن يزول الفارق بين الادبين أبدا .

وكيف يوفق الاستاذ بين دعوته الى أن يساير الادب العلم وتستحكم الصلة بين كلية الآداب وكلية العلوم وبين دعوته الى توحيد الادب والمساواة فيه بين الخاصة والعامة . أيمكن أن يكون جمهور الامة آخذا بحظه من كلية العلوم أيضا .

(٣) ثم الفكاهات والنوادر . يقول استاذنا الفاضل . « حسبك دليلا على ذلك أن النكت والنوادر ، وهى من أهم أركان الادب ، لا تجد منها سائغا في أدبنا العربى عشر معشار ما تجد فى الادب العامى . وأن النادرة تحكى بالعامية فتضحك الى أقصى حد ثم تحكيها باللغة الفصحي فتخرج باردة تافهة »

نظر الاستاذ الى هذه القضية من جانب واحد . والحق أن النكتة تبلغ مبلغها فيما وقعت فيه من حال وعبارة . فالذين يشهدون الواقعة المضحكة أو يسمعون الكلمة المضحكة أكثر ضحكا لها ممن رويت لهم فى غير أحوالها أو بغير الفاظها ، بل ينطق الرجل بالكلمة فيضحك لها الناس فاذا رواها غيره بلفظها فى مثل حالها لاتبلغ من النفوس ما بلغته أول مرة لما فاتها من أثر القائل الاول . فاذا اختلفت العبارة فاحرى أن يختلف التأثير . فاذا ترجمت الفكاهة من لغة الى أخرى ضاع أثرها كله أو بعضه واذا نقلتها من عبارة الى أخرى فى لغة واحدة لم تبق على حالها الاولى . فان تكن النكت العامية تبرد اذا نقلت الى العربية الفصحى فكم من نادرة فصيحة تموت اذا نقلت الى العامية . وكثير من فكاهات الجاحظ و « كتاب الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي لا يمكن نقلها الى العامية ؛ كالفكاهات المتعلقة بالنحو والعروض والفقه ونحوها . وكثير منها يضعف أثره وان أمكن نقله . والا فكيف تترجم الى العامية هذه العبارات :

قال رجل للحسن يا أبى سعيد . فقال كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول يا ابا سعيد . وقدم رجل من النحويين رجلا الى السلطان فى دين له عليه فقال أصلح الله الامير لى عليه درهمان قال خصمه : لا والله أيها الامير ان هى الا ثلاثة دراهم لكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما . واعتبر كل ما فى كتب الادب من ملح تجد أكثرها يجرى هذا المجرى .

ولاريب أن لغة التخاطب ولغة الكتابة أو لسان العامة ولسان الخاصة كانا متقاربين فى عهد الجاحظ. ولم يكن بينهما ما بين الفصيحة والعامية اليوم . ولكن الفكاهات اذ ذاك كانت كما هي اليوم لاتصلح للنقل من لغة الي أخرى . قال الجاحظ :

« ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وان تحكيها الا مع اعرابها ومخارج ألفاظها . فانك ان غيرتها بأن تلحن في اعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وأن تستعمل فيها الاعراب أو أن تتخير لها لفظا حسنا الخ »

وكذلك يقول قدامة بن جعفر في كتاب نقد النثر : « وللفظ السخيف موضع آخر لايجوز ان يستعمل فيه غيره . وهو حكاية النوادر والمضاحك والفاظ السخفاء والسفهاء فانه متي حكاها الانسان بغير ماقالوه خرجت عن معنى ما اريد بها وبردت عند مستمعها .

(٤) وبعد فلا ينبغي أن تسف لغة الآداب العالية الى مستوى العامة بل يجب ان ترقي العامة الى مستوى لغة الآداب اوما يقرب منه . على ان هذا التباعد بين ما يسميه الاستاذ « الادب الارستقراطى » وما نسميه « الادب الشعبي » مظهر واحد من مظاهر الاختلاف بين عامتنا وخاصتنا ، بين الفريقين تفاوت عظيم فى العقل والمعرفة والازياء والمساكن وطرائق المعيشة . ولا بد من تقريب المسافة بين العامة والخاصة في هذا كله قبل أن يشتركا فى لغة واحدا ويستمتعا بأدب واحد فان الادب الصحيح ترجمان معيشة الامة .

الثورة العرابية

خلاصة تاريخها ومكانها من النهضة القومية المصرية

بقلم فخري أبو السعود في الآداب

كتاب يجب أن يقرأه كل مصري

ليتمثل صورة كاملة لكبرى حوادث تاريخنا المصري الحديث

الثمن ٥ يطلب من المكاتب الكبيرة بالقاهرة

ومن المكتبة العباسية برأس التين بالاسكندرية

ومن مكتبة على محمد شنب بالسكة الجديدة بطنطا